الحركات الانفصالية في اوروبا
إقليم الباسك إنموذجاً

م.د.آمنة محمد علي(*)

المقدمة

على الرغم من الجهود التي بذلها الاتحاد الاوروبي في مسيرته نحو التكامل والوحدة وما يشهده العالم من تجمعات وتكتلات سواء الاقتصادية منها ام الاستراتيجية التي ترتكز على المصالح المشتركة ، تبرز ظاهرة الحركات الانفصالية في اوروبا معلنة عن رغبتها في الانفصال القائم على الهوية الفرعية، ومن خلال تحشيد وتاجيج المشاعر القومية او العرقية، كأقليم الباسك وكاتالونيا وجزيرة كورسيكا وغيرها... حالة تثير تساؤلات حول حقوق الأقليات العرقية حول العالم ومدي تأثير تعميم نموذج الاقاليم التي نالت استقلالها كتلك التي استقلت عن يوغوسلافيا السابقة،على سبيل المثال، في اثارة النزعة الانفصالية لدي الأقليات المختلفة في اوروبا والعالم، بوصفها خطوة مشجعة للحركات الانفصالية في دول أخرى، مما يشير إلي بروز حدود جديدة للدول قائمة علي الهويات والنزعات العرقية. وبالرغم من ان الحركة الانفصالية في اقليم الباسك ليست وليدة اليوم بل انها تعود الى اكثر من نصف قرن من الزمن، الا ان تلك المسيرة التي ابتدأت سلمية قد اصطبغت بالعنف وكانت لها تأثيرات خطيرة على أمن وسلامة شعوب المنطقة.

ينطلق البحث من فرضية إن إقليم الباسك هو أحد الأقاليم الاوروبية، سعى الى الانفصال عن اسبانيا من خلال منظمة إيتا التي اتخذت من العنف وسيلة لبلوغ اهدافها.

وتهدف الدراسة الى الوقوف على الدوافع الحقيقية وراء دعوات الانفصال وهل إن استخدام العنف كان الوسيلة الأفضل لمنظمة إيتا الانفصالية في تحقيق الاهداف التي

(*)مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية– جامعة بغداد

تتوخاها خلال مدة نشاطها ابتداء من تاريخ تأسيسها عام ١٩٥٩ولغاية القاءها السلاح عام ٢٠١١.

إشكالية البحث : إن إقليم الباسك الذي يتمتع بحكم ذاتي، يقع جغرافيا ضمن دولتين اوروبيتين لديهما نظام ديمقراطي ودستور يضمن حقوق جميع افراد الشعبولديه مشتركات تربطه مع الشعبين ، وإن الاتحاد الاوروبي الذي تنتظم داخله الدولتان يقوم على اساس وحدة الشعوب الاوروبية في اصولها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها وتأريخها، وبالرغم من ذلك توجد العديد من الحركات الانفصالية التي تطالب بأن يكون لها كيان خاص على اساس عرقي او ثقافي ومنها حركة إيتا الباسكية التي نادت بالانفصال واتبعت لأجل ذلك وسائل عنف مسلح. اشكالية تكتسب أهمية كبيرة في أبعادها السياسية والأمنية والأجتماعية والإقتصادية وتمثل نموذجا لما يمكن أن تؤثر به على بلدانها وتتطلب معرفة حقيقة ماتصبو اليه تلك الحركات والدوافع التي تدفعها للانفصال عن بلدانها فضلاعن ماتثيره من التساؤلات حول ماهية الحركات الانفصالية بشكل عام؟ وحركة ايتا بشكل خاص ؟ ولماذا اختارت العنف سبيلا لبلوغ اهدافها؟ وهل تؤثر الافكار الانفصالية على المشروع الاوروبي الذي يسعى منذ قرابة ٦ عقود من الزمن لتوحيد شعوب اوروبا ضمن الهوية الاوروبية ؟ تساؤلات تجيب عنها الصفحات القادمة للبحث ضمن مباحث ثلاثة، المبحث الاول يتناول نبذة عن الحركات الانفصالية في اوروبا، والمبحث الثاني حول اقليم الباسك والمشكلة الباسكية و دور منظمة إيتا في تلك الدعوات وما رافقها من نشاطات خارج سلطة الدولة الاسبانية وقوانينها والمبحث الثالث يتناول أسباب إعلان ايتا نبذ العنف والتحول نحو الوسائل السلمية في المطالبة بما تعتقده حقوقها المشروعة الى جانب نظرة استشرافية حول مستقبل الحركات الانفصالية في اوروبا والمخاطر التي تمثلها على الاتحاد الاوروبي.

المبحث الاول: الحركات الانفصالية في اوروبا

تظهر الخارطة السياسية لقارة اوروبا حقيقة وجود العديد من الحركات الانفصالية التي قد تختلف فيما بينها في مجالات عدة إلا إنها جميعا تشترك بحقيقة كونها تمثل رغبة جماعة ما في الخروج من البودقة الوطنية المتعددة والشاملة في مجتمع متنوع الى مجتمع اكثر ارتباطا في هويته الفرعية فما حقيقة ما يُدعى بالحركات الانفصالية في أوروبا؟ وما هي أهدافها؟ وما الذي يحركها؟ وما تأثيراحداث مثل استقلال كوسوفو، واستفتاء اسكتلندا وتداعياته على مساعيها للانفصال؟ *

المطلب الاول: إطار نظري

أولا– الإنفصالية

يطلق مصطلح الإنفصالية على التحركات التي تتبناها مجموعة من المجتمع تسعي إلي الاستقلال، بتوجهات أو دوافع تهدف الى فصل أرض أو منطقة تقيم فيها عن الدولة التي تسيطر عليها وتحكمها، أو في اقل تقدير، الحصول علي حكم ذاتي في إطار هذه الدولة.[١] اي انه نشاط سياسي شعبي يوظف جوانب اجتماعية كوسيلة لكسب التأييد ويستمد قوته من تأجيج المشاعر لدى افراد تلك الجماعة ، مما يضعف حالة الترابط بين فئات الشعب الواحد بوصفهم أمة تجمعهم الهوية الوطنية الشاملة ويترتب على ذلك حالة من عدم الاستقرار في الاقليم تكون لها انعكاساتهاعلى العلاقة مع الدولة الاتحادية. وعلى الرغم من أن هذا الامر قد يحدث حتى في مجتمعات ذات طابع واحدي إلا انه في الأعم يجري في مجتمعات ذات طبيعة تعددية، هذا التعدد يجعل منه مجتمع مقسم وفقا لما يطلق عليه "هاري اكشتاين" "الانقسامات القطاعية". ويوضح ذلك بقوله (.. ويوجد هذا حيث ترتبط الانقسامات السياسية ارتباطا وثيقا بخطوط التباينات الاجتماعية القائمة موضوعيا، لاسيما تلك البارزة في مجتمع معين [٢]، (فالمجتمعات التعددية تتسم بالاختلافات الثقافية) "كل جماعة تتمسك بديانتها ، وثقافتها، ولغتها، وافكارها ،وطرائقها" وهي المجتمعات التي تعيش ضمنها مختلف

[١] عبد الحليم ،نظرة على ... الحركات الانفصالية في العالم ، على موقع
:http://www.masress.com/egynews

[٢] ارنتليبهارد، الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة حسني زينة، الفرات للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى بغداد – بيروت ٢٠٠٦ ،ص١٥.

قطاعات المجتمع جنبا الى جنب ، ولكن بانفصال، داخل الوحدة السياسية الواحدة"وهناك من يصف المجتمع التعددي بانه "مجتمع فيه اختلاط جغرافي واجتناب اجتماعي متبادل" انه بالمعنى الادق خليط من الشعوب، لانهم يتخالطون ولكن من دون تداخل ونظام اندماج[٣]. وتتميز الحركات الانفصالية بمظاهر خاصة بها وبدرجات مختلفة ، فأحيانا يتم استخدام القوة المسلحة أو العمليات المسلحة عبر تشكيل منظمات أو جماعات تحمل السلاح لتحقيق أهدافها، وقد يكون ذلك عبر المظاهرات والاحتجاجات والإضرابات السياسية والاجتماعية والعمالية، او من خلال الإجراءات السياسية والدستورية الشرعية. واغلب تلك المنظمات تلجأ الى العنف والقوة المسلحة ممايسبغ عليها صفة الارهاب فالمجموعات التي تحارب النظم الحاكمة او التركيبة السياسية او الاجتماعية داخل بلدانهم انفسهم عديدة ومنهم منشقي الباسكETA . وفي حين اتبعت اساليب قمعية في الماضي لأجل تحجيم تلك المنظمات او القضاء على نشاطاتها الا ان مثل تلك الممارسات لم تنجح الا في رفع شعبية تلك المنظمات لاسيما في نظم تتبع المنهج الديمقراطي سبيلا للحكم. [٤]

ثانيا– الاقليات والانفصال

تواجه المجتمعات التعددية مشكلة الاقليات القومية، اذ تعد احد مصادر الصراع الدولي وبهذا الصدد، وعلى المستوى الجغرافي، يمكن التفرقة بين نوعين من الأقليات القومية:

(أ) الاقلية التي يتركز وجودها على مناطق حدود الدولة التي تعيش فيها .

(ب) الاقلية التي تشارك دولة مجاورة قوميتها.

في حالة النوع الاول من الاقليات فإن تطلعها يكون متجها الى تحقيق احد هدفين؛ اما الانفصال لتكوين دولة مستقلة خاصة بها او الحصول على درجة عالية من الحكم الذاتي والتمتع بحق المعاملة المتساوية مع الاغلبية . اما النوع الثاني من الاقليات فإن

[٣] المصدر نفسه ، ص ٣٥

[٤] عبدالله كرمون، اوروبا... آفاق الحركات الانفصالية، مجلة الدوحه، العدد ٨٥ نوفمبر ٢٠١٤

هدفها عادة يكون متركزا في المطالبة بتعديل الحدود الدولية حتى يتاح لها ان تنظم الى الدولة المجاورة التي تشاركها قوميتها، ولتصبح بذلك جزء من شعبها ومثل هذا التطلع غالبا مايلقى تأييد الدولة المجاورة التي تحاول ان تروج لوجهة النظر القائلة بأن الحل العملي للمشكلة لايكون الا بضم الاقليم الذي تسكنه هذه الاقلية القومية اليها، وفي مثل هذه الحالة فإن حل المشكلة يكون اكثر صعوبة اذ تتعنت تلك القومية ومهما قدمت الدولة من سياسات متسامحة في مواجهة مثل هذه الاقلية القومية، فإنها قد لاتنجح في اخماد النزعة الانفصالية الموجودة لديها، وستظل باستمرار تطالب بتعديل الحدود بالصورة التي تمكنها من الانضمام الى الدولة المجاورة التي ترتبط معها بأواصر قومية واحدة [٥]

إن الافكار الانفصالية لهذه المجتمعات التعددية يمكن لها ان تنمو وتزدهر، فلا أحد يجهل بأن أغلب تلك الحركات كانت لدى ظهورها الأول حركات مطالبة بالحقوق اللغوية والثقافية، التي لم ترد لها أن تنصهر في خضم لغة وثقافة عالميتين أي سائدتين، بأن نادت بالتميز المحلي على جميع الأصعدة. ما جعلها تمرّ لزمن بمرحلة انكفاء تام. ثم عادت الى الظهور والمطالبة بالانفصال مع الازمة الاقتصادية التي شهدتها البلاد والتي تضع الحركة اللوم فيها على الحكومة، ما جعل المطالب القديمة تتماهى مع المطالب الاجتماعية، لاسيما مع وجود سخط شعبي يمكنها من خلاله كسب التأييد من قبل الرافضين لسياسة الدولة في قطاعات شتى، ثم لرفض الدولة بالمرة في نهاية المطاف[٦].وتثير مسألة الاختلاف العرقي او اللغوي ، عنصر من عناصر الدفع باتجاه الحديث عن ماض مجيد لتلك الفئة والذي افتقدته بعد ذوبانها في مجتمع لايحمل صفاتها وماضيها وبالتالي سعيها لاحياء ذلك الماضي عن طريق الانفصال عن جسد الدولة المتعددة والالتحام بمناطق اخرى لها مشتركات قومية تاريخية ولغوية ، فعلى سبيل المثال ، يركز أغلب مروجي الأيديولوجيات الجهوية في فرنسا في مشاريعهم على

[٥] اسماعيل صبري مقلد، الاستراتيجية والسياسة الدولية : المفاهيم والحقائق الاساسية، مؤسسة الابحاث العربية، الطبعة الاولى بيروت ١٩٧٩ والطبعة الثانية ١٩٨٥،ص٨٥– ٨٦.

[٦] عبدالله كرمون، مصدر سبق ذكره.

بناء هرم بلا نظير لتاريخ محلي أو قومي أسطوري. يشيدون فيه بماضٍ مشرف لأهلهم، ومن ثم على أحقية مشروعة في استعادته[٧].

المطلب الثاني: اسباب ودوافع الانفصال

تتنوع اسباب النزعات الانفصالية ودوافعها ، منها السياسية او الاقتصادية اوالثقافية، وتتداخل معها دوافع إقليمية عرقية أو لغويةأو دينيةأو ربما يجتمع أكثر من سبب منها في حالة واحدة. ويندرج تحت هذه المسميات مسمى او مبدأ المواطنة والشعور بالانتماء ، والتي يعبر عنها "برهان غليوي" في كتابه "نقد السياسة والدين والدولة" بأن فكرتها تقوم على تحالف وتضامن بين اناس احرار ، بكل ماتعنيه هذه الكلمة من معنى كذلك يؤكد "وليم سليمان قلادة" على ضرورة وجود اساسين من اسس المواطنة هما: المشاركة في الحكم، والمساواة بين جميع المواطنين [٨]واذا اختل جانب من تلك الجوانب فقدت المواطنة اسسها وظهرت دعوات الانفصال .

اولا– دوافع سياسية: تكتسب الدوافع السياسية اهمية كبيرة في مسألة الدعوة الى الانفصال، وذلك عندما لاتحصل حركات سياسية معينة على قاعدة شعبية تؤهلها لتحقيق اهدافها السياسية والمتمثلة بالمشاركة في ادارة الدولة ، تلجأ عندئذٍ الى استثارة المشاعر العرقية أو الطائفية لتحقيق اهدافها ، لاسيما في المجتمعات ذات الطبيعة التعددية، حيث يجري فيها التركيز على الاختلافات بدل المشتركات، فثمة دول تعاني وبدرجات متفاوتة من تفكك اراضيها، كمحصلة لما تنتجه القوى المتنابذة فيها، بحيث يتجلى التفكك فيها بجعل الامكنة من مدن واحياء وقرى وارياف تتخاصم ضمن الدولة الواحدة التي تجد سيادتها اذ ذاك في حال من الانحسار المعطل لفاعليتها في ادارة مجتمعها، مايدفع السلطة في حال توفر الشروط المواتية للاخذ بالاستبداد، في سبيل فرض وحدة البلاد بالقوة[٩]. ولابد من الاشارة الى أن مفهوم

---

[٧] المصدر نفسه.

[٨] – ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، الطبعة الاولى بيروت ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م، ص٦٠٩.

[٩] معين حداد، الجيوبوليتيكيا : قضية الهوية والانتماء بين الجغرافيا والسياسة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الاولى بيروت ٢٠٠٦،ص ٢٢٣.

التعددية يخضع لتقلبات السياسة الداخلية والخارجية للدولة المعنية، والتحولات التي تشهدها السلطة التنفيذية ، مما يجعل تطبيق هذا المفهوم مرهونا بطبيعة الجهة التي ترسم سياسته وتطبيقه [١٠] فالانتماء الوطني بالمعنى السياسي الحديث لايقتصر على الحنو الوثيق على هذا المكان او ذاك، ولايقتصر على الحنين الى مسقط الرأس وملاعب الطفولة، بل إن الانتماء الى الوطن بالمعنى الحديث والمعاصر، اي الانتماء الى وطن الدولة – الأمة، يجاوز المستوى الثقافي الى المستوى السياسي حيث تكتسب جميع الامكنة المدرجة في اطار الدولة المذكورة اي جميع اراضيها، قيمة واحدة موحدة لمجموع المشاركين في عضوية الدولة، على اعتبار إن تلك الاراضي ليست المساحة الجغرافية التي يتاح لهم فيها التعاضد والتعاون فيما بينهم لتحقيق مقاصدهم ومصالحهم فحسب، بل هي المكان الذي يمارسون فيه، سيادتهم وسلطتهم على اراضيهم من خلال سيادة وسلطة الدولة المعبرة عن ارادتها وسلطتها[١١] .علىهذاالاساس،يسودااليومفيالمحافلالدولية*خطابيتميزبرفعشعاراتومبادئ تفيد بضرورة التمسك

---

[١٠] د. سعيد الصديقي، الهجرة العالمية وحقوق المواطنة، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٨، ابريل نيسان ٢٠٠٧، المجلد ٤٢، ص٢٩.

[١١] معين حداد، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٤.

* المحافل كما يوضح معناها قاموس المعجم الوسيط، هي جمع محفل وتعني مجلس أو مكان اجتماع لموضوع ما، والمحافل الرسمية هي (المجالس والمحافل السياسية والمحافل الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة) والمحافل السياسية هي الدوائر والاوساط السياسية. قاموس المعجم الوسيط، مصدر سبق ذكره.

* الارهاب بحسب القانون يعد جريمة، ويعرف بأنه " نوع من اعمال العنف التي تقترن بالرغبة في احداث الذعر والترويع (حكيم سياب، مسؤولية الدولة في اصلاح الاضرار الناتجة من الاعمال الارهابية: دراسة تأصيلية؛ تحليلية وتطبيقية على التجربة الجزائرية، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٣٥– صيف ٢٠١٢م، ص٤١) لقد حاولت الامم المتحدة لاكثر من ٣٠ عاما، اقرار تعريف يمكن ان يحظى بتصديق اجماعي من اعضاء الجمعية العامة ولكنها فشلت في ذلك مرارا بسبب عوامل سياسية في الغالب، وفي الولايات المتحدة الامريكية تموضع قانون مكافحة الارهاب بعد احداث الحادي عشر من ايلول سبتمبر ٢٠٠١، اذ عرفه القانون الفدرالي "بانه الاستخدام غير القانوني للقوة او العنف ضد الاشخاص او الممتلكات لتهديد او اجبار الحكومة او المدنيين او ايقطاع آخر من الناس او لتعزيز اهداف سياسية او اجتماعية"، كما عرفه القانون البريطاني بانه" استخدام العنف لأهداف سياسية ويشمل اي استخدام للعنف بهدف ترويع الشعب او ايقطاع " (اياد خلف محمد جويهد، التدابير الوقائية من الارهاب في التشريع العراقي والمواثيق الدولية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد السابع والعشرون، ايلول ٢٠٠٩، ص١٥٣). والارهاب في الحالة قيد البحث؛ شكلا من أشكال العمل السياسي القائم على ممارسة العنف المنهجي من

بكامل الاراضي والحفاظ على وحدتها . ويمكن لهذه القاعدة ان تحرك دولا خارجية او لديها اطماع لاثارة توترات ومشكلات داخلية من خلال الحركات الانفصالية التي تتخذ من العنف وسيلة سياسية ، وصار هذا النوع مما يدعى بالارهاب العالمي* يعرف بانه البديل الارخص والاقل تكلفة من الحروب الحديثة التي لم يعد فيها منتصر ولا مهزوم، فصارت دولة ما تتبنى جماعات ارهابية في دولة اخرى، تقتل الافراد وتفجر المباني وتروع الامنين ، وهي بذلك تسدد ضربات قاصمة لكيان حكمها من الداخل .. وقد تستبدل الدولة الراعية بأقليات تستشعر ظلما، وتريد وضعا أفضل اوأقاليم ذات كيانات جيوبولتيكية تريد استقلالا او مجموعات ذات قضايا مهمشة تريد تسليط الضوء عليها واظهارها.. الخ[١٢].وتزيد ايديولوجيات او مشاريع حكم لاتحصل على اتفاق بين كل فئات الشعب، حالة من عدم الرضى لدى الجهات الرافضة لها، وترغب بأن يكون نظام الحكم طبقا لمشروعها الذي لاتستطيع تحقيقه ضمن نظام سياسي معين. او ان مشاركتها بنسب ضئيلة في نظام ديمقراطي يعتمد رأي الاغلبية (التي هي ليست منها)، ولن تتمكن من المشاركة في اتخاذ قرارات استراتيجية، وبالرغم من ان امر كهذا لايبيح للجهات الرافضة لقرارات الاغلبية بتقويض سلطة الحكم او خلق جو من التوتر والعنف الا ان الواقع ينبئنا بوجود العديد من تلك الحالات لاسيما الاحزاب

جانب المنظمات التي تعتمده، ضد الناسو الممتلكات، كوسيلة لتحقيق الدعم الشعبي لقضيتهم، وليس بالإقناع الأيديولوجي، ولكن من خلال اثارة الرعب، وتقوض إرادة المواطنين والدولة واجبارهم على قبول مطالبه. وهو إلى حد ما، نمطا منفردا للحرب يتم تخطيط وتنفيذ أعماله المسلحة بغية جعل المجتمع يستسلم في مواجهة أهداف هذه المنظمات سواء للهيمنة أو الحصول على السلطة، (MIKEL BUESA* and THOMAS BAUMERT, DISMANTLING TERRORIST'S ECONOMICS- THE CASE OF ETA- Professor at the Universidad Complutense of Madrid)

ومن صفات الارهاب العالمي، القيام بأعمال عنف للاطاحة بالحكومة موجهة بشكل رئيس ضد فئة اخرى منافسة طائفيا او عرقيا وهذا الارهاب عندما يحدث فإنه لا يؤثر فقط على البلد الذي يحدث فيه العنف أو التهديد بل انه يشمل العديد من البلدان وكثيرا ما يطلب من الجهات الأمنية التعامل معه بصرامة وتعاون دولي لمحاولة منع الجماعات الارهابية من النجاح في مساعيها.

المصدر، What is global terroris https://www.reference.com/government-politics/global-terrorism-7cb4f676c1f8c1fb

[١٢] هشام الحديدي، الارهاب.. بذوره وبشوره وزمانه ومكانه وشخوصه، الدار المصرية اللبنانية – الطبعة الاولى القاهرة١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م،ص ٤١.

السياسية من اليمين او اليسارذات التوجهات المتطرفة والتي لاترغب في ذوبان هويتها القومية ضمن نظام شامل لمجموعة من الهويات كما هو الحال مع الاحزاب اليمينية المتطرفة والتي ترفض فكرة الاتحاد الاوروبي. لقد جعلت الظروف السياسية والاقتصادية الحالية أوروبا منكفئة نوعاً ما على نفسها. وارتسمت أكثر من أي وقت مضى الشروخ الموجودة بين الهويات، وصارت تلوح في الأفق رويداً ما يسميه المعنيون بـ(أوروبا الجهات)، أي وجه جديد لاتحاد قد يضم في المستقبل بلداً مجزأً إلى جهات لكل واحدة منها سيادتها التامة[١٣].

ثانيا – اسباب ثقافية: تمثل المشتركات الثقافية احد المرتكزات الاساسية لوحدة المجتمع وتجانسه واندماج ابنائه، وهي مصدر من مصادر التعايش السلمي بين افراد المجتمع وبعكس ذلك فإن الاختلافات الثقافية تقود في اغلب الاحيان الى التباعد والتنافر إذا ماوجدت اسبابا تدفع بالمجتمع بهذا الاتجاه. وفي البحث عن ماهية الثقافة نجد انها بمداها الواسع، تعبير عن تفاعل بين جملة من العناصر التي لايمكن تحديد معانيها بسهولة وذلك لانعدام اي ميزة أو علامة فارقة تميزها عن شئ آخر، إذ إنها خليط ومزيج من عناصر متباينة الأهمية والحيوية . فالثقافة في هذا الاطار؛ وليدة النظام وتعبر عن نفسها عادة بواسطة اللغة والفنون أو الفلسفة أو الدين والعادات والطقوس الاجتماعية والمؤسسات السياسية والاقتصادية، على إن واحدة منها على انفراد لايمكن عدها ثقافة من دون حضارة وإن كان من الممكن قيام حضارة لم يتيسر لها بعد تنمية ثقافتها، والسائد في اكثر الاحيان هو وجود شعوب متمدنة لم يتسن إلا لعدد ضئيل منها أن يحقق ثقافة[١٤]، وتعد الثقافة؛ الوعاء الذي يستوعب ويجسد الهوية وهي التي تعبر عن الشعور بالانتماء ،كونها توالف بين القيم المتراكمة والمتفاعلة مع الآخر ايضا، لاسيما انسانيا، ومع التقاليد والعادات التي تعكس سلوك وحياة الناس[١٥]

---

[١٣] عبدالله كرمون، مصدر سبق ذكره.

[١٤] د. نادية فاضل عباس فضلي، التكوين المجتمعي للهند واثره في الوحدة الوطنية، مجلة العلوم السياسية– كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد، العدد ٥٢ تموز٢٠١٦، ص١٥٨.

[١٥] عبد الحسين شعبان، جدل الهويات في العراق : الدولة والمواطنة، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الاولى بيروت ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م، ص١٨.

فالابعاد الثقافية تمثل، مصدرا مهما من مصادر قوة الدولة وكلما قلت التباينات زادت نسبة الاستقرار السياسي والأمني، فسكان اقليم معين يعدونه ملكا لهم ، وتشكل مساحته الاراضي التي ينتمون اليها ، يتباينون افرادا وجماعات من حيث مشاعرهم تجاه الامكنة الاخرى من الاقليم وبالتأكيد تكون مشاعرهم تجاه مناطقهم اقوى من تلك التي يكنونها لمناطق اخرى فالاماكن هي ايضا من مكونات الشخصية الاجتماعية ، وهناك سلما تراتبيا لتلك المشاعر والانتماءات بدأ من المحيط المباشر وصولا الى اراضي المجتمع الجامع لكل الهويات، فمشاعر الانتماء الى المحيط الاقرب أشد منها الى ماهو أبعد، ومن هنا بناء على ذلك يتكون وعي مناطقي ينتج تصورات "ارضانية" تتمثل في خريطة ذهنية عن المجال الجغرافي لكل فرد والذي يتحرك فيه ويستثمره طبيعيا وبشريا ، وتجري فيه المبادلات المادية والمعنوية والذي يعده الافراد الذين ينتمون له ملكا عاما لهم وخاصا بهم دون غيرهم بدأ من هويتهم الفئوية الى هويتهم الوطنية [١٦] .

إن الدولة المعاصرة التي تعبر من حيث المبدأ عن ارادة المجتمع ، تعبر في الوقت نفسه عن مصلحته ؛ وكل من المصلحة والارادة مرهونة بوحدة الجتمع القائمة على الروابط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تشد افراده بعضهم الى بعض .على مساحة معينة من الارض، والتي تشكل القاعدة الجغرافية الضرورية للمجتمع والروابط التي تجمع افراده، فإن انشداد الافراد بعضهم لبعض يؤدي الى انشدادهم للارض التي يجتمعون عليها وبالتالي للانتماء اليها. وفضلا عن ذلك يمكن القول إن انتماء الفرد الى الدولة المعبرة عن ارادة المجتمع ومصلحته هو انتماء الى المجتمع والاراضي التي هو عليها . وهوية الدولة، كهوية افرادها ، مرتكزة على اراضيها ، بحيث صارت الدولة المعاصرة تسمى بإسم هذه الاراضي[١٧]. ومن المؤكد إن الاندماج هو الذي يفضي الى التعايش الذي يدل على الالفة والمودة وضمن الهوية الوطنية الشاملة، اذ يتم الاتفاق حول المشتركات التي يصفها علم السياسة والاجتماع بأنها (النواة المشتركة لفئات

[١٦] معين حداد، مصدر سبق ذكره،ص ١٥٨ – ١٦١.

[١٧] المصدر نفسه، ص٢١٤ .

متناقضة في محيط معين يقبل بعضها اراء البعض وتهضم الخلاف والاختلاف القائم بينها من أجل التعايش في اطار الهوية المشتركة للوطن الواحد) [١٨]وفي الوقت الذي تمثل فيه الهوية الوطنية عنصرا اساسيا في التعايش السلمي والاندماج المجتمعي فإنها من المنظور السياسي تمثل محورا مركزيا في عملية بناء السلطة والدولة التي قد تتأسس على هوية مجتمعية موحدة ، وإذا كانت الكيانات السياسية في العصر الحديث قد اتخذت طابع وخصائص الدولة القومية او الوطنية المنسجمة والموحدة على قاعدة المواطنة والهوية الوطنية ، فإن هذا لايعني بأي حال إلغاء الحقوق السياسية العامة أو المدنية الخاصة للجماعات القومية والثقافية التي تضمها تلك الدول ، بدون أن تبنى هوياتها كهوية وطنية سياسية عامة لمواطنيها . ولا تواجه الهوية الوطنية اشكالية في عملية بنائها وقبول مجتمعها بها إلا عندما تتكون الجماعة الوطنية السياسية من جماعات فرعية ذات هوية اجتماعية متنوعة ، وتسعى احدى تلك الجماعات أو كل واحدة منها الى تقديم هويتها الفرعية بوصفها مشروعا لهوية وطنية سياسية عامة تحتوي الهويات المغايرة وتذيبها فيها ، وهو مايدفع حاملي تلك الهويات الى التمسك بهوياتهم الفرعية مما يمنع تحقيق الاندماج الوطني المشروط بالانتماء الى هوية وطنية سياسية جامعة تحترم وجود وحريات الهويات الفرعية المندمجة في اطارها [١٩].

ثالثا – اسباب اقتصادية: لايمكن الحديث عن الحركات الانفصالية بمعزل عن العوامل الاقتصادية، فالاقاليم الغنية بمواردها الاقتصادية ، ترفض مشاركة ذلك الغنى مع فئات اخرى من المجتمع وتعده خسارة لإقليمها وليس مشاركة ضمن البلد الواحد. أما إذا كان الإقليم موطنا لمجموعة تعاني من الفقر، فإنها بالتأكيد سوف تلقي باللوم على الدولة لعدم انصافها وفي الحالتين فإنهما تسعيان الى الانفصال . فالاسباب الاقتصادية تقف في مقدمة العوامل التي تدفع باتجاه الاستحواذ على المكاسب الاقتصادية ورفض التنازل عنها لصالح فئات اخرى من المجتمع نفسه،فمناطق مثل الباسك واسكتلندا

---

[١٨]د. منى حمدي حكمت، مفهوم التعايش السلمي ومعوقاته في العراق، محلة العلوم السياسية –كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد، العدد ٥٢ تموز ٢٠١٦، ص٣٣٧.

[١٩]د. هيفاء احمد محمد، اشكالية الهوية الوطنية العراقية وأهم مقوماتها، مجلة اوراق دولية، العدد ٢٠١٣، السنة الثالثة عشر، ايار ٢٠١٢ ص١١.

وكاتالونيا تسعى، بالدرجة الأولى، إلى الانفصال عن الدولتين بسبب اقتصادي، فيما تأتي الاعتبارات الثقافية والسياسية بعد ذلك، فثقل الجانب المالي هو الوازن في ميزان الضغط. وبغض النظر عن الأزمة الحقيقية في إسبانيا، فإن هَمّ الباسك وكاتالونيا مثلها مثل اسكتلندا هو استيائها من كونها تُستنزف من طرف الدولة الأم، وأن غناها لا يعود عليها بالفضل، بل تجود به على مناطق أخرى في البلد. فمواردها من النفط والثروات المعدنية الاخرى تجعل منها، المناطق الأكثر غنى والتي يُفرض عليها أن تجود، مرغمة، على غيرها من الجهات[٢٠]. ومع ما تتعرض له الدولة المعاصرة من ضغوط متعددة كنتاج للتحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الكبرى التي يشهدها العالم والتي ادت الى تصاعد معدلات التدويل وبالتالي ضمور الدولة القومية ومؤسساتها . فقد اخذت مراكز قوى وشركات متعددة الجنسيات ، وجماعات ضغط ، ومنظمات غير حكومية واخرى دولية مالية واقتصادية ، تزاحم سلطة الدولة المعاصرة يقول عبد الوهاب المسيري " فالسلطة لم تعد مجموعة مؤسسات مركزية يمكن الاستيلاء عليها والتحكم فيها ، فهي موزعة بين عدة مؤسسات متغلغلة في المجتمع[٢١]، اليوم تحت تأثير هذه الضغوط ، وغيرها من العوامل، تتجه الدول طوعا الى تشكيل تكتلات اقتصادية اقليمية مجاورة بذلك المستوى القومي لها. والاتحاد الاوروبي هو نموذج لتلك التكتلات، الا انه افرز على الجانب الاخر مزيد من دعوات الانفصال داخل الجسد الاوروبي. فالاتحاد الأوروبي، لم يسلم من ارتجاجات قوية. إذ سبب إدخال العملة الموحدة اليورو في خلخلة الاقتصاد المحلي لكل بلد على حدة، ومس بالدرجة الأولى القدرة الشرائية، بارتفاع أسعار المواد الغذائية وجمود مستويات الأجور. كما أن مسألة الحدود قد أضحت أيضاً تؤرق الأوروبيين، سواء فيما يخص شأن الهجرة أم الظاهرة القديمة الجديدة والمتعلقة بالهجرة ذاتها (الإرهاب) . في حين نجد أن دعوة بعض الاحزاب التي تدير كل من (سكوتلندا البريطانية ، كاتالونيا الاسبانية ، اقليم الباسك ، والفلاندر البلجيكية) للاستقلال تجسد نمط جديد من الانفصالية فهذه

[٢٠] عبد الحليم، مصدر سبق ذكره.

[٢١] معين حداد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٥، انظر ايضا عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر – دمشق، ٢٠٠٣، ص٥٣.

الاحزاب الى جانب كونهم مصادر راسخة للشرعية وبوصفهم اوروبيين فإنهم يرون بأن الاستقلال سيجلب لهم منافع اقتصادية في مجال التنافسية لاقتصادات المنطقة[٢٢].

المبحث الثاني : إقليم الباسك

ويطلق عليه (الباسك، وسكال هيريا، وفاسكونيا) وكلها أسماء تشير إلى الإقليم المقسم بين إسبانيا وفرنسا، ويقع في جنوب غرب قارة اوروبا، جنوب غرب فرنسا والى الشمال من اسبانيا ويمتاز بطبيعته الجبلية المتكونة من جبال البرنس، يحده من الشمال بحر كانتابريا، ومن الجنوب منطقة لاريوخا ومن الشرق نافارا ومن الغرب منطقة كانتابريا ومنطقة قشتالة وليون، وتبلغ مساحته مايقارب ٢٠ألف كم٢ ١٨ ألف كم٢ منها تقع ضمن اسبانيا والباقي في فرنسا، وتشمل المقاطعات الإسبانية (نافار، ألافا، غيبوسكوا، وبسكاي والبلدان القديمة لابوردي، زوبيروا) اما الفرنسية فتشمل البحرية السفلى في قسم بيرينيه الأطلسي في فرنسا وقد ترك هذا التقسيم دولة الباسك القارية في الشمال بالاعتماد تقليديا على فرنسا، في حين أن شبه جزيرة الباسك ، بدورها، تعتمد على الدولة الإسبانية [٢٣] ويتمتع الإقليم بدرجة عالية من الحكم الذاتي بموجب دستور ١٩٧٨م وصلاحيات واسعة لمحافظ الإقليم، وتحكم في الثروات الداخلية وجمع الضرائب طالما لم تمس هذه الأمور الأقاليم الأخرى، وتحتفظ الدولة الإسبانية حسب الدستور بالسلطات المركزية والخارجية والدفاع. ويعد تسلسل الإقليم، الرابع عشر على اسبانيا من حيث المساحة ، عاصمته فيتوريا، وهي تمثل اهم التجمعات الصناعية في اسبانيا منذ اكثر من ١٠٠عام ، وتعد واحدة من اكبر البؤر المالية في المحور الاطلسي الاوروبي ويرتفع فيها معدل الناتج القومي قياسا بنسبة السكان التي تمثل ٤.٧بالمئة من سكان اسبانيا، مما يميز الاقليم بالثراء فضلا عن جودة معايير الحياة كالصحة والتعليم والسكن والترفيه والمحافظة على البيئية[٢٤] فقد كان الاقليم قد

---

[22]Separatism in the EU , http://www.css.ethz.ch/content/dam/ethz/special-interest/gess/cis/center-for-securities-studies/pdfs/CSSAnalyse160-EN.pdf

[٢٣]خوسيه مانويل كاستيل سوغور وتزجو ريغوي، الاستقلال السياسي وحل النزاعات: قضية الباسك، من الموقع الشبكي لجامعة الأمم المتحدة http://archive.unu.edu/unupress/unupbooks/uu12ee/uu12ee0m.htm

[٢٤]غفران يونس، قراءة سياسية لمنظمة ايتا، مجلة المرصد الدولي، مركز الدراسات الدولية– جامعة بغداد، العدد ١٢، شباط – ٢٠١٠ ،ص٩٢ .

حقق ازدهارا اقتصاديا ابتداء من القرن التاسع عشر وذلك من عمليات تصدير الحديد الى بريطانيا ، ادى الى تراكم مبالغ كبيرة من رأس المال ، ثم قاد اقليم الباسك حركة التصنيع في اسبانيا فضلا عن التنمية ومستوى المعيشة[٢٥]. وتكثر بالإقليم المناطق الخضراء والغابات، فضلا عن ما تمتاز به من الثروات الطبيعية من خامي الحديد والفحم الحجري . ويقطن الإقليم شعب الباسك الذي اختار البرنس الغربية مكانا للعيش فسميت بـ موطن الباسك(**Basques**)ويبلغ اجمالي سكانه ٣ مليون فرد من أصل مجموع الشعب الاسباني البالغ ٣٩مليون[٢٦] وهم مقسمون بين فرنسا واسبانيا يسكن السدس منهم في فرنسا والباقي شمال اسبانيا ، ولهم لغتهم (اللغة الباسكية) وتقاليدهم الخاصة والشعب منقسم فيه الى فئتين تطالب احداهن منذ عقود بالانفصال عن اسبانيا وفرنسا وتاسيس دولة الباسك على اساس قومي، في حين ترى الفئة الثانية إن مسار الباسك كجزء لايتجزأ من اسبانيا وهم يطالبون بالحلول التي تحقق مطالب الاقليم وأسبانيا في آن واحد وأيدوا عموما ترتيبات الحكم الذاتي، هذه المواقف احدثت حالة من الاستقطاب والتعددية (القوميين من جهةوالمؤيدين لأسبانيا من جهة اخرى) ويحمل الإقليم إرثاً ثقافياً كبيراً مختلفاً بشكل تام عن الثقافة الأوروبية التقليدية؛ مما جعل له طابعاً فريداً استطاع أن يجذب السائحين الأجانب بشكل كبير[٢٧].

المطلب الاول :جذور المشكلة الباسيكية

تعود جذور الحركة الانفصالية الباسكية الى عام ١٨٩٣، عندما بدأ قادة الباسك بتنمية المشاعر القومية الباسكية المرتبطة بالاحاسيس الدينية العميقة، والمدعمة بالتمييز العرقي المتعصب والدعوة للاستقلال عن بقية الشعوب الاوروبية لاسيما الفرنسية والاسبانية[٢٨]. ومن الناحية التاريخية كانت النزعة القومية الباسكية تتجه دائما إلى أن تكون حركة مجتمعية موجهةللباسكيين ككل، بهدف تقديم نفسها كممثل شرعي وحيد

[٢٥] خوسيه مانويل كاستيل سوغور وتزجو ريغوي، مصدر سبق ذكره.

[٢٦] جودة حسنين جودة، جغرافية اوروبا الاقليمية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الخامسة عشرة الاسكندرية ١٩٩٨،ص٢٣٤ .

[٢٧] غفران يونس، مصدر سبق ذكره، ص٩٢

[٢٨] المصدر نفسه، ص٩٣

لمجتمع الباسك. وتستمر هذه السمة التجديدية داخل العالم المعقد الذي يدور حول إيتا والهيئات السياسية والثقافية التابعة لها، والحركات الاجتماعية والشبابية والطلابية. فالقومية الباسكية تتجذر في التباين الراديكالي بين الإسباني والباسكي، حيث ينظر إلى الاثنين على أنهما عدائيان طبيعيا. على هذا المنوال، يظهر مفهوم الباسك كأنه يتناقض مع مفهوم إسبانيا. هذا التناقض هو العامل الرئيسي، وسبب وجود القومية الباسكية. وبالتالي، فإن المطالبة القومية تدعمها فكرة "احتلال دولة الباسك" من قبل الدولة الأجنبية في إسبانيا. ومن الناحية الإيديولوجية، فإن القومية الباسكية لا يتم تكوينها فقط على أنها حركة سياسية "مناهضة للنظام"، بل هي أيضا معادية لإسبانيا [٢٩] .

في ثلاثينيات القرن الماضي، وعلى أثر تأسيس ما عرف بالجمهورية الإسبانية الثانية عام (١٩٣١)، من قبل القوى اليسارية وعلى رأسها الحزب الشيوعي جرى منح الحكم الذاتي لثلاثة أقاليم: كاتالونيا، والباسك، وغاليسيا. في الوقت الذي كانت فيه الحكومة الاسبانية بحاجة الى دعم الباسك في الكفاح ضد الفاشية والقوات المسلحة المتمردة . إلا أن العمل بنظام الحكم الذاتي تم الغائه في الاقاليم الثلاثة إبان فترة حكم الجنرال فرانشيسكو فرانكو عام (١٩٣٦)، ثمّ اندلعت أحداث الحرب الأهلية الإسبانية بين اليسار واليمين ، إلا أن فوز القوى القومية اليمينية بقيادة الجنرال فرانشيسكو فرانكو بعد الحملة العنيفة التي قادها لإعادة اليمين الى الحكم مكنه من السيطرة، وفرض الحصار عليهم، وتم اعتقال وتعذيب العديد منهم ،وجرى قمع كل علامات الهوية الباسكية، فكانت اللغة الباسكية محظورة، الأمر الذي ساعد على ولادة تيار جديد تحركه المشاعر القومية الانفصالية المنطلقة من الشعور بالظلم[٣٠]، ومنذ ذلك الحين، وحتى بعد أن قسمت البلاد إلى أقاليم ذاتية الحكم، وحققت مجتمعةً ازدهارًا اقتصاديًّا، ونتائج مرتفعة في مؤشرات الرخاء والرفاهية، إلا أن نبرات الانفصال لم تخبُ، وكانت تطفو على السطح ما بين الحين والآخر،لاسيما في اوقات الازمات الاقتصادية. ففي ١٨ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٧٩ وافق البرلمان الاسباني على نظام

[٢٩] خوسيه مانويل كاستيل سوغور وتزجو ريغوي، مصدر سبق ذكره

[٣٠] ماجد احمد الزاملي، الحل الامثل للمشاكل العرقية، مقالة من الانترنيت على موقع http://www.ahewar.org

جديد للحكم الذاتي يغطي مقاطعات الانا وغيبوسكوا وبسكاي أملا بإنهاء الارهاب من جهة والعمل على ادماج الاقليم في المجال السياسي الاسباني.

أما هدف الحركة الباسكية الانفصالية فهو توحيد الأقاليم الخمسة وإنشاء دولة باسكية مستقلة عن كل من فرنسا وأسبانيا ، ولتحقيق هدفها في توحيد تلك الأقاليم مارست المنظمة الانفصالية العنف والعمل المسلح، وعمليات وصفت بأنها ارهابية، إضافة إلى ذلك اتبعت الحركة سياسة التصفية الجسدية ضد كل الذين لا يتعاونون معها، وبقيت على مدى نصف قرن من الزمن تتمسك بمبدئها الأساسي وهو استقلال الإقليم الباسيكي عن الدولتين ، وبالرغم من إعلان الهدنة من جانب واحد لمرات عدة ، ابتداء من سنة ١٩٩٨ ، إلا أنه تتم العودة إلى العنف في كل مرة لاسيما في الجزء الاسباني[٣١]، وقد شهد الاقليم في إسبانيا عدة إضراباًت دعت إليها حركات اليسار التابعة للحزب المحظور هيري باتا سونا، الجناح المسلّح لمنظمة إيتا للاحتجاج على الاعتقالات الواسعة في صفوف القوميين الباسكيين وما يوصف بالتضييق على الأحزاب السياسية الأخرى مثل الحزب الشيوعي للأراضي الباسكية وحزب العمل القومي الباسكي.

المطلب الثاني: حركة إيتا

تنظيم قومي باسكي مسلح ويعد من ابرزالتنظيمات الانفصالية في غرب أوروباوالاسم إيتاETAمأخوذ من الاحرف الاولي لعبارة ارض الباسك والحرية أوسكادي تا أسكاتاسونا ESUKADI TA ASKATASUNA[٣٢]وتم تصنيفها على انها مجموعة إرهابية محظورة من قبل السلطات الإسبانية والفرنسية، والاتحاد الأوروبي ككل والولايات المتحدة.

اولا– تأسيسها : تأسست الحركة في ٣١ يوليو/ تموز ١٩٥٩ في يوم القديس اغناطيوس (شفيع الباسك) كمنظمة ، على يد بعض الاشخاص من الطبقة الوسطى من القوميين الباسكيين (العديد منهم من طلاب الجامعة) المتطرفين المنشقين عن جماعة

---

[٣١]وطن الباسكو الحرية، موسوعة المعرفة، على الرابط:http://www.marefa.org/index

[32]MIKEL BUESA* and THOMAS BAUMERT مصدر سبق ذكره

أكين EKIN المنشقة بدورها عن الحزب القومي الباسكي الحاكم حاليا، ردا على ما اعتبروه عدم كفاية معارضة الباسك الحزب الوطنيBNF، تم تشكيل المجموعة بهدف الحصول على "دولة مستقلة هي دولة الباسك، والرجال الاحرار داخل وسكادي" [٣٣]، اتسمت السنوات الأولى لمنظمة إيتا بمناقشات إيديولوجية مطولة، وانقسامات عديدة،وقد تأثرت إيتا خلال الستينيات بالأيديولوجية الماركسية من قبل المجموعة الرئيسة المؤسسة والتي كانت توجهاتها قومية راديكالية فضفاضة تتخللها عناصرعنصرية، تطورت بعد ذلك لتصبح حركة انفصالية، وقد اتخذت رمزها (الفاس والثعبان حوله)، وهي تعد السكان في إقليم الباسك أمة مستقلة ذات دعائم قومية ذاتية تختلف عما يحيطها من الشعوب الاوروبية، وتستخدم العنف كوسيلة للضغط على الحكومة الاسبانية لتحقيق مطالبها بالانفصال، وقد شكلت الاراضي الباسكية الفرنسية عمقا استراتيجيا في غاية الاهمية بالنسبة لمجندي إيتا العاملين في أسبانيا وكانت الاراضي الفرنسية حتى اعوام مضت تمثل قاعدة متينة يكمن فيها المجندون ويهربون إليها وتجمع فيها مخازن الاسلحة[٣٤].

واللغه الباسكيه بحسب المتخصصين باللغة، لاتنتمي الى الاسبانيه اوالفرنسيه و بالتالي فهي غير مشتقه من اللغه اللاتينيه القديمه. وبالرغم من إن نشأتها كانت على يد الطلاب القوميين الثائرين في مواجهة الحركة الفرنكوفونية، إلا أنّ المؤرخين المعاصرون يرجعون انشائها الي نهاية القرن التاسع عشرفي ١٨٩٣، على يد مؤسسها (سابينو أرانا) وبناء على ايديولوجيا اثنية كاثوليكية متزمتة ومدعمة بالتمييز العرقي المتعصب والدعوة للاستقلال عن بقية الشعوب الاوروبية وخاصة الفرنسي والاسباني [٣٥]، وشكلت أول خلية إنفصالية سميت الحزب القومي الباسكي تحت شعار" شعب أوروبي متميز يتكلم لغة أوروبية مختلفة ".ومنذ ذلك التاريخ فإن حركة إيتا في الغالب تستهدف

---

[٣٣]غفران يونس، مصدر سبق ذكره، ص٩٢.

[٣٤]وطن الباسكو الحرية، مصدر سبق ذكره.

[٣٥]ماذا تعرف عن منظمة إيتا الباسكية، تقرير على موقع موسوعة الجزيرة؛

http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties/2014/9/18/%D8%A5%D9%8A%D8%AA%D8%A7

بعملياتها قوات الشرطة والجيش من خلال السيارات المفخخة الى جانب اعمال العنف في المدن والاغتيالات .

ثانيا– عقيدتها ونشاطها السياسي: ارتكزت عقيدة ايتا على ثلاثة اسس[٣٦]، وهيالدفاع عن اللغة المحلية والعرق الباسكى ومعاداة ومقاومة الإسبانية، العمل على استقلال بلاد الباسك التي تشمل مقاطعات (آلافا – بسكاي – غيبوسكوا الإسبانية – ولابوردي – نافارا السفلى – ثوبيروا الفرنسية)، وفي اطار العمل السياسي، تمكنت عام ١٩٦٢ من ترسيخ أرضيتها إثناء مؤتمرها الأول الذي عقد في دير بييوك في فرنسا وعُمّدت فيه المنظمة كـ(حركة ثورية باسكية للتحرير القومي)، رافضة التعاون مع أي حزب أو منظمة أو جمعية لا قومية، وباشرت بحملة قوية تهدف إلى توسيع قاعدتها الشعبية. وحدّدت نفسها كـ (منظمة سرّية ثورية) تشق طريقها عبر(الكفاح المسلّح) بهدف التوصّل إلى استقلال بلاد الباسك. وفي عام ١٩٧٨تم التصويت على الدستور الاسباني الذي يؤكد على وحدة اسبانيا وعدم السماح بالانفصال، لذا فقد قاطعه الباسكيون القوميون وكانت نسبة المؤيدين له من سكان الباسك لاتتجاوز(٣١ بالمئة)، كما عارضت إيتا الحكم الذاتي ووجدته غير كاف لتلبية طموح شعب الباسك وانشأت جناحا سياسيا باسم حزب"هري باتا سونا" ليكون ذراعا سياسيا لها وكان يحصل على ١٢–١٨% من أصوات الناخبين في انتخابات المجلس النيابي للإقليم [٣٧]، دون أن يمنعها ذلك من الاستمرار في عملياتها العنيفة والمسلحة، حيث كانت بداية الثمانينيات أكثر السنوات دموية في تاريخها، سجلت فيها مقتل ١١٨ شخصا. مما دعا قوات الأمن الإسبانية لملاحقة أعضاء هذه المنظمة التي كانت اولى عملياتها اغتيال مدير مكتب المخابرات الاسبانية عام ١٩٦٨، بمدينة سان ساباستيان بإقليم الباسك (ميليتون مانثاناس). أما العملية الكبرى الاولى لإيتا فكانت اغتيال الادميرال (لويس كاريرو بلانكو) رئيس الحكومة في عهد الديكتاتور فرانكو بواسطة سيارة ملغومة وسط مدريد، وعرفت العملية بـ سام "اوغرو"، عام ١٩٧٣وكانت اكبر عملية ضد الحكومة

---

[٣٦] المصدر نفسه.

[٣٧] حركة ايتا الباسكية .. من تكون؟، مقالة من الانترنيت على موقع http://arabic.euronews.com

الاسبانية[٣٨]. وبسبب استمرار النشاط المسلح للحركة، قامت الحكومة الاسبانية بحل الحزب عام ٢٠٠٣ بقرار من المحكمة الدستورية ووضعه على قائمة الارهاب، حدثت أكثر من هدنة وأكثر من محاولة للتفاوض بين الحركة والحكومة الإسبانية، وكانت دائمًا ما تصل لطريق مسدود، كان آخرها عام ٢٠٠٦ في عهد رئيس الوزراء خوسيه لويس ثاباتيرو، وكادت أن تصل المفاوضات لنقاط متقدمة لولا التفجير الذي وقع في موقف مطار باراخاس وأعلنت الحركة مسؤوليتها عنه، ومن وقتها وضعت الحكومات الإسبانية شروطًا أحادية غير قابلة للتفاوض للحركة وهي تسليم أسلحتها وحل الحركة وتسليم المسؤولين عن العنف ليحاكموا[٣٩].

وكانت حصيلة أنشطتها الدموية بين عامي ١٩٦٨و ٢٠١١ هي مقتل٨٤٠ شخصا و ٢٥٠٠ من الجرحى و٨٠ مختطف من بينهم ضباط وعناصر من القوات المسلحة وقوات الأمن الإسبانية[٤٠]وسياسيين وأصحاب شركات وصحافيين وعدد كبير من المواطنين، كما أن عمليات الخطف والتهديد والإبتزاز لم يسلم منها حتى اهالي الباسك غير المؤيدين لاعمال ونشاطات إيتا[٤١].

ثالثا – التركيب الداخلي للمنظمة [٤٢]

تمتلك المنظمة شبكة من الكيانات ممن هي تحت القيادة والإشراف، والتي ادت دورا مهما في نشاطاتها وقامت بوضع المسارات السياسية والاقتصادية والثقافية والجدول الزمني الخاص بدعم مشروعها الإرهابي، وينقسم الجهاز العام لمنظمة إيتا بشكل عام الى ثلاث اقسام هي :

---

[٣٨]خالد زكريا، ايتا والاسبان وبلباو .. بين الدم والهوية، مقالة على موقع

https://www.noonpost.org/content/17503

[٣٩]حركة ايتا الباسكية من تكون؟ مصدر سبق ذكره

[40]Teresa Whitfield ,The Basque Conflict and ETA, The Difficulties of an Ending ,Special Report, UNITED STATES INSTITUTE OF PEACE .www.usip.org

[٤١]غفران يونس، مصدر سبق ذكره، ص٩٣

[٤٢]المصدر نفسه، ص ٩٣.

١- المؤسسة السياسية القانونية المتمثلة بالجناح السياسي والذي يتشكل من اعضاء الحزب المسمى (باتا سونا) وهذا الحزب ممثل بأربعة اعضاء في مجلس الشعب الاسباني وتصدر عنه صحيفة رسمية .

٢- المؤسسة التقنية، وهي تختص بتوزيع المجندين وأيوائهم وتزويدهم بالاوراق المزورة اللازمة واعدادهم الحركي ويتواجد هذا الجهاز في الاراضي الفرنسية.

٣- المؤسسة العسكرية التنفيذية ، وتعمل على اعداد العناصر الفاعلة في المنظمة وتجهيزهم عسكريا ومن ثم تزويدهم بالخرائط والخطط والاسلحة اللازمة .

رابعا – مصادر تمويل المنظمة :تحتاج هذه المؤسسات التي تعد عالية التجهيز الى دخل مادي واسع، ويعد أهم مصدر من مصادر تمويلها هو عمليات الاختطاف ودفع مايسمى بـ (الجزية الثورية) وتمتد مدة احتجاز المختطفين لدى ايتا الى اكثر من عام احيانا ، ويتم التعامل معهم بقسوة اذ يسجنون احيانا في قبور تحت الارض وفي عزلة تامة مع الحياة، ولم تستطع قوى الأمن الفرنسية ولا الاسبانية العثور ومن ثم الافراج إلا عن اثنين فقط من المختطفين خلال ٣٠ عاما. وتشير بعض المصادر الى إن جزء من ذلك الدعم يأتي من بعض دول أمريكا اللاتينية التي يهمها الضغط على السياسة الاوروبية من خلال الضغط على السياسة الاسبانية، كما يرى بعض المراقبين ان إيتا تتلقى مساعدات من الحكومات الاسبانية ذاتها لتوقف عملياتها خلال مدة من الزمن كما حدث اثناء مباريات كأس كرة القدم عام ١٩٨٤ او اثناء معرض أشبيلية الدولي عام ١٩٩٢[٤٣]. وقد اظهرت النتائج الدور الكبير الذي أدته الاعانات المالية العامة في الشبكة الإرهابية. وإن حظر نشاط حزب (باتا سونا) أحدثت تغييرا كبيرا في ذلك التمويل، لاسيما مع الاجراءات الدولية التي اتخذت منذ العام ٢٠٠٢ ضد الجهات التي لها علاقة بالنشاطات الارهابية ومنها منظمة ايتا لمواجهة المنظمات ذات الصلة بالارهاب العالمي، ألامر الذي اغلق الباب أمام الحصول على الدعم من حكومة الباسك وغيرها من السلطات العامة[٤٤].

---

[43] MIKEL BUESA and THOMAS BAUMERT. مصدر سبق ذكره

[٤٤] المصدر نفسه .

في عام ١٩٨٦ عثرت الشرطة الفرنسية في مدينة Sokoa على ورشة اتخذت من تعاونية عامة غطاء لادارة نشاطها والذي اتضح بأنها تمثل عصب مركز عمليات ايتا ، وقد اظهرت سجلاتها بانها مابين ١٩٧٩– ١٩٨٦ كانت قد حصلت على مبالغ كبيرة من خلال مايسمى الضرائب الثورية والسرقات من البنوك والشركات ومصادر اخرى ، لقد اظهرت السجلات بأن إيتا لم تقتصر على تمويل خلاياها الارهابية فقط، وإنما قامت بالاستثمار في مجالات تحصل من خلالها على الدعم السياسي، ففي عام ١٩٧٩، قامت بدفع مايعادل مبلغ ١٢٠ ألف يوروالى حساب رئيس تحرير صحيفة (إيجين) اليومية والتي مكنت الصحيفة المذكورة من شراء مجلة (بونتو ذا هورا) لأجل تقديم الدعم الاعلامي لها وفي السنة نفسها مولت مجموعة (جيستورا برو– أمنيستا Gestoras Pro–Amnistía)) واتحاد النقابات العمالية (LAB) والحزب السياسي العائد لهم (HB)، ولابد من الاشارة الى انه في بداية عام ١٩٩٠ كان نشاط ايتا يدار من خلال الذراع المسلح (الهيئة التنسيقية للقاعدة الشعبية والمنظمة الشعبية(KAS) اذ يشمل التنسيق مع الائتلاف السياسي (HB) والنقابات العمالية (LAB) ومنظمة الشباب(Jarrai) والهيئة(KAS)، ومؤسسة Gestoras Pro–Amnista)ومنظمة تعزيز اللغة الباسكية، والمنظمة الطلابية (الطلاب الوطنيين) وبعض المجموعات النسوية والبيئية والثقافية الاخرى. وعلى اية حال، لم تكن إيتا فقط مسؤولة عن تمويل شبكة الظل التابعة لها ، بل انها استثمرت في مجالات اخرى وبطرق مشروعة، لأجل الحصول على موارد وارباح تكميلية وغسيل اموال، لذا فإنها انشأت مجال اعمال خاص وبالتعاون مع المتعاطفين معها في الوقت الذي حصلت فيه على التمويل من خلال الانشطة غير القانونية [٤٥]لقد اتسعت اعمال إيتا من خلال شبكة غامضة وقاعدة ظل من الافراد المتواطئين معها وبمرور الوقت وبحلول منتصف الثمانينات اصبح وجود إيتا يمثل مكسبا اقتصاديا للكثيرين ولم يعد مجرد استراتيجية سياسية، بل الكثير من الاعمال التجارية التي بات الالاف يعتمدون عليها فإلى جانب صحيفة إيجين التي بدأت اعمالها عام ١٩٧٦ للقيام بدور الدعاية

[٤٥]المصدر نفسه .

والاتصالات الذي لاغنى عنه بالنسبة لايتا، فقد تم تأسيس شركة اخرى في السنة نفسها اكثر ربحا وهي شركة (هيريكو تابيرناك) والتي تمثل سلسلة من الحانات والمطاعم التي تنتشر عبرالبلدات والاحياء يرتادها المتعاطفين مع الحركة الوطنية لتحرير الباسك، والتي من خلالها يتم السيطرة على محيطهم المباشر وتمكنهم من التخطيط لأعمال العنف أو غسيل الاموال غيرالمشروعة لإيتا.

المبحث الثالث: الحركات الانفصالية وتحديات وجودها

الحركات الانفصالية بوصفها جزء من المجتمعات التي تتواجد فيها وتنطلق منها، فإنها تتأثر بمؤثرات داخلية واخرى خارجية وتتطلب تغيرات في استراتيجياتها احيانا، أوقد تفضي الاحداث والتطورات الداخلية والخارجية الى مزيد من النزعات الانفصالية لاسيما في اوقات الازمات .

المطلب الاول – التحول في نشاط ايتا وإنهاء النزاع

في ايلول/ سبتمبر من عام ٢٠٠٢، ضبطت الشرطة الاسبانية رسالة كتبت من قبل (هنري باروت) احد اعضاء منظمة إيتا والتي حث فيها قيادة الفرقة للهجوم على وزارة الداخلية والمحكمة العليا واهداف حيوية مثل بنك اسبانيا المركزي وبورصتي مدريد وبرشلونه للاوراق المالية في تحول نوعي من الاهداف السياسية والعسكرية نحو اهداف اقتصادية[٤٦]، مشيرا الى ان هذا التحول سيمثل ضغطا على الحكومة الاسبانية ويجبرها على الجلوس معهم والتفاوض والرضوخ لمطالبهم، لذلك وفي وقت لاحق تعرض العديد من المراكز المصرفية للهجوم من قبل إيتا. وبالعودة الى عام ١٩٨٧ عندما قامت إيتا بتفجير سوق بمدينة برشلونه، أسفر عن مقتل واحد وعشرين مدنيا واصابة العشرات، فكان أحد أكثر مشاهد العنف دمويةً، والتي حركت مشاعر الشارع الاسباني والتعاطف مع الضحايا فخرجوا في مظاهرات تطالب بنبذ العنف، ومنه كانت البداية لتحول الكثير من مؤيديها الذين بدأوا بالتساؤل عن هويتها،وكان لاختطاف محافظ اقليم الباسك ميغيل انجل بلانكو عام ١٩٩٧ والمطالبة بمقايضته بمئات الاسرى من عناصرحركة إيتا، ثم اعدامه بعدما رفضت الحكومة الاسبانية الرضوخ

[٤٦] المصدر نفسه

لمطالبها ، وقع كبير على المجتمع الاسباني، اذ دفع بالملايين من الاسبان للخروج الى الشوارع على مدار أربعة أيام مطالبين بوضع حد للعنف الذي تمارسه إيتا، ألامر الذي دعاها الى الاعلان عن رغبتها بالقاء السلاح، موقف لقي قبولا من الحكومة الاسبانية، إلا ان المفاوضات بقيت متعثرة لغاية العام ٢٠٠٦ حيث اعترفت الحكومة الاسبانية علنا باجراء مفاوضات مع الحركة الانفصالية، إلا أن عدم التزام إيتا بوقف النشاط المسلح جعل المفاوضات تتوقف، لتستمراعمال العنف في العاصمة مدريد وغيرها فضلا عن استمرار عروض وقف النار التي توالت دون توقف[٤٧].

فى١١ مارس عام ٢٠٠٤، أسفرت الهجمات التي وقعت على قطارات مدريد عن مصرع ١٩١ شخصا واصابة ١٨٠٠ آخرين. وفي البداية توجهت أصابع الاتهام الى إيتا، الامر الذي نفته الحركة، ثم أعلن تنظيم القاعدة الارهابي عن مسؤوليته عن الهجوم. هول الحادثة وردة فعل المجتمع الاسباني، كل ذلك أحدث توجها يدعو الى إعادة التفكير في مدى جدوى العنف كوسيلة لتحقيق الأهداف السياسية. وكان من أهم إنعاكسات تفجيرات مدريد على هذا الصعيد هو التقاء كلا المجتمعين الأسباني والباسكي عند نقطة نبذ العنف وإدانة الإرهاب الذي يدعو إلى استخدام القوة في حل القضايا الخلافية. وشهدت منظمة إيتا تبعا لذلك إنقسامات داخلية . إلى جانب الضغوط الدولية . ضربتها في الصميم وأجبرتها، على التخلي عن القوة في ظل المناخ الذي ساد بعد تفجيرات مدريد. وفي الوقت الذي أبدت فيه منظمة إيتا استعداها للتخلي عن القوة والدخول في مفاوضات مع الحكومة بعد وقف لإطلاق النار أعلنته من جانب واحد، أبدت الحكومة الأسبانية أيضا استعدادها في الدخول في محادثات معها[٤٨]. كما دعت إيتا جميع سكان إقليم الباسك إلى "الانتقال من الكلام الى الفعل" من خلال الانخراط في عملية سلام، في نسخة موسعة لبيان سابق اصدرته حول ذلك

[٤٧] حركة ايتا الباسكية من تكون؟ مصدر سبق ذكره

[٤٨] أندري وجيريس، إعداد: عبد هجميل المخلافي، اسبانيا دفعت ثمنا باهضا لمشاركتها واشنطن في الحرب على الإرهاب على الرابط : http://www.dw.com/ar

واعلنت فيه وقف اطلاق نار دائم[٤٩]. *ويعتقد الكثير من المحللين ان الحصار السياسي الذي عاشته إيتا في الوسط السياسي الاسباني، وانسداد آفاق حل الازمة باستخدام القوة، وإلقاء العديد من المنظمات المسلحة في اوروبا ومن بينها منظمة الجيش الاحمر لسلاحها، وانتهاجها التفاوض السياسي، كل ذلك أدى دورا اساسيا في قرار إيتا بنبذ العنف واللجوء الى الحلول السلمية، غير ان محللين اخرين يقولون ان تلك الخطوة لا يمكن فقط تفسيرها بالرجوع الى التطورات داخل أسبانيا وأوروبا، وإنه لا بد من الاخذ في الاعتبار الأثر الذي أحدثه تنظيم القاعدة وعملياته في أميركا وأسبانيا وبريطانيا على المنظمات المسلحة في أوروبا، فقبل هجمات ١١ سبتمبر/ايلول ٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن وتفجيرات ١١ مارس/ آذار٢٠٠٥ في مدريد، وتفجيرات ٧ يوليو في لندن، كانت كافة وسائل الإعلام الإسبانية المكتوبة والمسموعة والمرئية تتداول وتعالج يوميا أخبار الشغب والعنف في شوارع مدن إقليم الباسك التي يمارسها الشباب المؤيد لمنظمة إيتا والمطالبة بحق تقرير المصير واستقلال الإقليم. إلا أنّ هذه الأخبار بدأت تختفي تدريجيا من وسائل الإعلام لتحل مكانها أخبار الإرهاب الدولي التي بدأت تحتل العناوين والصفحات الأولى، إلى الحد التي اختفت فيه نهائيا. وأدى هذا التعتيم الناتج عن الأنشطة الإرهابية التي يمارسها تنظيم القاعدة إلى زوال

---

[٤٩] مقالة من الانترنيت، في ٢٠٠٦/٣/٢٣، ايتا تدعو جميع سكان الباسكال بالمشاركة في عملية سلام، http://www.dw.com/ar/.

* وكتبت الصحيفة التي تستخدمها ايتا عادة لتبني عملياتها في موقعها على الانترنت أن "ايتا تعتقد ان على جميع الشرائح الباسكية ان تطور هذه العملية وتوفق بين كل الاتفاق اتحول مستقبل بلاد الباسك، آخذة بعين الاعتبار تعددية بلاد الباسكو وحدتها غير القابلة للتجزئة". وتابع البيان "حان الوقت للكلام. وعلينا بجميع شرائحنا ان نقدم تعهدات جدية من أجل ان نبني معا الحلال ديموقراطي الذي تحت اجاليه بلاد الباسك. حان الوقت للتصرف بشجاعة واتخاذ قرارات عميقة، بالانتقال من الكلام الى الفعل". وكتبت المنظمة "نؤكد مجددا من الان وصاعدا التزامنا بالقيام بخطى منبثقة عن هذه العزيمة وبمواصلة الكفاح حتى الحصول على حقوق بلاد الباسك". وكانت منظمة ايتا اصدرت في ١٨ شباط/ فبراير بيانا مماثلا في مضمونه دعت فيه سكان الباسك الى "تجاوز مراحل جديدة" لارساء قواعد عملية سلام. وبذلك البيان صادقت ايتا رسميا للمرة الثانية على العرض الذي قدمه علنا جناحها السياسي حزب باتاسونا الانفصالي المحظور في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤ ودعا فيه إلتسوية سلمية بالتفاوض للنزاع الباسكي. وكانت حكومة خوسيهل ويسثاباتيرو (اشتراكية) اشترطت صراحة تخلي المنظمة السرية نهائيا عن العنف قبل بدء اي محادثات معها. (المصدر نفسه)

أعمال العنف في اقليم الباسك وإلى تحوّل في سياسة إيتا، إذ بدأت بخلط أوراقها من جديد وبرسم خطة مختلفة في سعيها لتحقيق اهدافها[٥٠]، هذا التحول يمكن ادراك مسبباتها بالعودة الى بداية نشاط إيتا الذي تبنت فيه العنف وسيلة للضغط على الحكومتين الاسبانية والفرنسية للمطالبة بما تعتقده انه حق مشروع لها، إلا أن العنف بشكله الواسع والخطير، الذي ترتب عن ممارسات تنظيم القاعدة وغيره من التنظيمات الارهابية، التي اتخذت من الدين ستار لها واوغلت في سفك الدماء، وهو عنف بات يهدد اوروبا والعالم اجمع، أظهر الصورة البشعة للارهاب كوسيلة للمطالبة بالحقوق، سواء بالنسبة الى إيتا أو المؤيدين لها فضلا عن المجتمع الاوروبي عامة، الى جانب شعور قادة إيتا بالخطر الذي يتهددهم ومشروعهم الذي يتعرض لملاحقة قضائية من جانب ورفض شعبي من جانب آخر، فضلا عن حالة الضعف والإحباط الذي سيطر على قادة إيتا وشعورهم بأن الوقت ليس في صالحهم، بسبب رفض فرنسا وأسبانيا لسنوات التفاوض معهم كانفصاليين ومسلحين، وخسروا أوراقهم واكتشاف مخابيء اسلحتهم واحد تلو الاخر من قبل المحققين، لذلك بدأوا بالبحث عن وسائل أخرى تتماشى مع الواقع الذي فرضته ممارسات التنظيمات الارهابية على مستوى العالم، وبعد رفض البرلمان الإسباني في عام ٢٠٠٥، لمشروع قانون يدعو لانفصال الإقليم، قدّمه برلمانه، قررت حكومة الباسك، تأجيل قضية الانفصال . وفي العام ٢٠٠٨ راجعت الحركة حساباتها وعرضت على مدريد وباريس فكرة استقلال اقليم الباسك على الطريقة الاسكتلندية اي نوعا محدودا من الاستقلال إلا انه قوبل بالرفض من قبل الحكومتين. ومع اعتقال مؤسس وزعيم حزب الانفصاليين الباسك باتا سونا (أرنالدو أوتيغي) عام ٢٠٠٩ بوصفه الجناح السياسي لحركة إيتا، وذلك عندما حاول إعادة احياء الحزب الذي تم حضره وحله عام ٢٠٠٣ من قبل الحكومتين الفرنسية والاسبانية، الى جانب اعتقالات خلال العامين ٢٠٠٩ و٢٠١٠ طالت عدد من قادتها، وتصفية البعض منهم على يد مجموعات تابعة للحكومة الاسبانية بما كان يطلق عليه بـ"الحرب القذرة" ضد الإرهاب، باستخدام فرق ضرب سرية تحت مسمى غال

[٥٠] ايتا، على موقع : https://ar.wikipedia.org/wiki

(غروبوس أنتيتيرو ريستاديلييبير اسيون) مما دعا إيتا لاعلان، هدنة دائمة لوقف اطلاق النار مع الحكومتين الفرنسية والاسبانيةعام ٢٠١١، وتم اطلاق سراح (أرنالدو أوتيغي) الذي كان قد حكم عليه ايضا بالحرمان من الحقوق المدنية والتي تمنعه من اداء اي دور شعبي لغاية عام ٢٠٢١. ومع حالة التشكيك التي طالما نظرت بها السلطات الاسبانية إلى نوايا إيتا وتخوفها من محاولتها إعادة تحضير نفسها والبدء بمرحلة جديدة من مسلسلها الإرهابي، سارت عملية التفاوض معها الى أن تم القاء سلاحها[٥١]. إلا أنه حتى مع إلقاء السلاح من قبل منظمة إيتا ، فإن اربعون عاما من الارهاب كان لها تأثير تآكلي على مجتمع الباسك وآخر سلبي على الديمقراطية في أسبانيا، والحقيقة انه وضع المجتمع امام خيار صعب آخر حول كيفية إدماج السجناء السابقين للمنظمة في المجتمع، والذي يعد تحديا حقيقيا، بالنسبة لإسبانيا، مع فقدان الثقة بينهم وبين مجتمع الباسك والمجتمع الاسباني عامة فضلا عن صعوبة تخليهم عن قناعاتهم الماضية حول الانفصال ومحاولات التكيف مع أوضاع جديدة، بعد أن قضوا سنوات في غياهب السجون. وقد أنشا سجناء مفرج عنهم جمعية، لمساعدة السجناء السابقين من أجل الاندماج داخل المجتمع الباسكي. فضلا عن الوقوف الى جانبهم في الحصول على عمل لإعالتهم وأُسرهم . وفي إطار عمليات التأهيل هذه، سيجابه أعضاء منظمة إيتا قضية كبرى و هي كيفية مواجهة ضحاياهم؟ اذ يؤكد العديد من هؤلاء الضحايا رفضهم لفكرة التصالح مع من تسببوا بمعاناتهم، مايؤشر صعوبة ردم الهوة بين ضحايا و إرهابيون يعيشون كلهم في إقليم الباسك[٥٢].

المطلب الثاني:الحركات الانفصالية ومخاطرها على الاتحاد الاوروبي

ادى توسع الاتحاد الاوروبي وظهور هوية واسعة وجامعة لجميع شعوبه وضمور الهوية القومية لكل شعب، الى حالة من عدم الرضى لدى التيارات المتطرفة ، حفزت نزعة التطرف لديها وباتت تلقي اللوم في جميع المشكلات التي يواجهها الفرد الاوروبي

[٥١]موجة التطرّف والعنصرية تجتاح القارة الأوروبية مجدداً، جريدة المستقبل، بيروت، الاثنين ١٤/نيسان ٢٠١٤– العدد ٥٠٠٦،ص ١٥.

[٥٢]فيليب اسواريس، مراسلة يورونيوز: سجناء ايتا المفرج عنهم، مقالة من الانترنيت على موقعC

opyright © 2016 euronews

على الاتحاد الاوروبي لاسيما مع الازمات الاقتصادية التي شهدتها دوَلهُ على مدى أكثر من أربعة عقود. فارتفع رصيد الاحزاب المتطرفة وظهرت الى الواجهة. في حين كان الاعتقاد لدى مؤسسي الاتحاد الاوروبي بأن تشكيله سيؤدي الى ذوبان الحواجز الحدودية والقومية والانصهار ضمن اطار وحدة اقتصادية وسياسية واجتماعية. وقد أظهر الواقع السياسي والإجتماعي بأن التمسك بمسألة الحصول على دولة مستقلة من قبل الحركات الانفصالية ظل على قيد الحياة وبحالة اكثر إصرارا وندائها هو تزايد المشاركة المدنية والفيدرالية .

وفي الوقت الذي كان فيه القادة والمفكرون الأوروبيون يرغبون في تحويل سنة ٢٠١٤ التي تصادف الذكرى المئوية للحرب العالمية الأولى إلى مناسبة للحوار وتعزيز العلاقات وتحويل القارة الأوروبية إلى مرجع للحوار والحريات ومحاربة التعصب، جاءت نتائج إلانتخابات الخاصة بالبرلمان الأوروبي التي جرت الأحد ٢٥ ايار/مايو ٢٠١٤ مخيبة للآمال بسبب تقدم القوى المتطرفة والراديكالية فضلا عن تقدم القوى الإنفصالية التي لم تحظ بالاهتمام الإعلامي والسياسي أمام فوز الجبهة الوطنية (اليمين المتطرف) في فرنسا. واصبح التركيز منصبا على اليمين المتطرف، وتناسوا خطر القومية في اسبانيا"[٥٣] فكان فوز الاحزاب القومية التي تطالب بإنفصال كتالونيا وبلد الباسك عن اسبانيا، بانتخابات البرلمان الاوروبي، بمثابة استفتاء أولي للانفصال،إذ حصلت الأحزاب المنادية بالإنفصال أو الاستقلال عن اسبانيا على أكثر من ٦٠٪ من الأصوات. هذا الفوز عدته الأحزاب القومية في بلد الباسك، تفويضا نحو حق تقرير مصير هذا الإقليم[٥٤] .

ومن المرجح بأن الاستفتاء الذي انعقد في سبتمبر/أيلول /٢٠١٤ باسكتلندا للانفصال عن بريطانيا قد شَرَعَ الباب على مصراعيه لنزوات الانفصاليين في أوروبا، وأوقد من جديد جذوة النَّزَعَات التي جرى الاعتقاد بأنها خمدت تماماً، أو أنها انزوت في أركانها.وهو ماتؤكده التظاهرات المساندة لاستقلال اسكتلندا، فإذا كانت أوروبا

---

[53] Teresa Whitfield– ،مصدر سبق ذكره.

[٥٤] حسين مجدوبي، إنتخابات البرلمان الأوروبي تعيد شبح القوميات والإنفصال... والبداية من اسبانيا، على موقع صحيفة القدس العربي http://www.alquds.co.uk/?p=174810

الشرقية ما تزال تمور باضطرابات قد تؤدي إلى انقسامات كبرى، فإن الدنمارك، ألمانيا، بلجيكا،إيطالياوفرنسا تحتضن مخاضاً انفصالياًعسيراً[٥٥].صحيح أن حدة الاضطراب الذي حدث قبل سنوات في بلجيكا قد هدأت نوعاً ما، إذ لم تتمكن البلاد حينها حتى من تشكيل أية حكومة. غير أن الجهات الداعية إلى الانفصال عن فرنسا مثلا لم تفقد أبداً حدة شوكتها. فمناضلو حركة البروتاني يسمون فرنسا بلداً استعمارياً يستنزفهم ويعيث فساداً في أرضهم.ومن باب المقارنة، يعد موضوع القوميات في أوروبا ورغبتها في الإنفصال والاستقلال أخطر من أطروحات اليمين المتطرف. فأحزاب اليمين المتطرف تنتعش وتتراجع، ورغم أنها قطرية التفكير، إذ تدافع عن اتحاد أوروبي لا تتجاوز صلاحياته الدول الوطنية، مثل فرض العملة الموحدة وفتح الحدود والتساهل مع الهجرة. بينما مشكل الأقليات الراغبة في الإنفصال هو بنيوي، وفق جميع الدراسات السياسية بما فيها الصادرة عن المركز الأوروبي الاستراتيجي. فضلا عن تحذيرات القادة الاوروبيون من خطورة الافكار الانفصالية.

إنّ الذكرى المئوية الأولى للحرب العالمية حاضرة لدى الأوروبيين بقوة سنة ٢٠١٤، في الكتب التي صدرت في المناسبة وفي الخطابات السياسية. إذ يكشف التاريخ دور الحركات القومية الإنفصالية في تفجير الصراع في الشرق قبل انتقاله إلى غرب القارة المهيأة بسبب الصراعات الاستعمارية، ليتحول الى حرب عالمية أولى. فالقومية الضيقة فجرت حرب البلقان في التسعينات وحتى بداية القرن، وتقف القومية وراء تفجير أوكرانيا سياسيا حاليا، ولا أحد يضمن أن يسفر انفصال مناطق مثل كتالونيا وبلد الباسك عن تفكك عدد من دول أوروبا مثل بلجيكا وإيطاليا ومناطق فرنسية.

في الحقيقة، إن نظرة اكثر عمقا في النسيج الاجتماعي الاوروبي تبين تنوعا واختلافا كبيرا بين شعوبه وبين الشعب الواحد ضمن البلد الواحد وهي تذكرنا بحروب وصراعات قرون طويلة بين تلك الشعوب والتي لم تغلق صفحاتها الى اليوم على الرغم من كل المشاريع الوحدوية، وهاهي اليوم بريطانيا قد باشرت بعملية الخروج من الاتحاد الاوروبي بعد الاستفتاء الذي حققت فيه الفوز الاغلبية المطالبة بالخروج من الاتحاد

[٥٥] عبد الله كرمون، مصدر سبق ذكره .

الاوروبي، في حزيران– يونيو ٢٠١٦، وهذا يذكرنا ايضا بموقف الجنرال ديكول عند تأسيس السوق الاوروبية المشتركة والذي طالب فيه بأبقاء بريطانيا بعيدة عنها عادا اياها اطلسية الخطى وليست اوروبية وبأن تعاطفها الأكبر إنما موجه نحو الولايات المتحدة ، الا إنه عاد وأشاد بوجود أمم مختلفة في اوروبا الممتدة " من الاطلسي الى الاورال ".ومن هنا فإن الاختلافات بين الشعوب الاوروبية يجب أن تؤخذ في الحسبان والاعتراف بإن تلك الشعوب لا يمكن إذابتها في كيان سياسي موحد [٥٦] .

الخاتمة والاستنتاجات:

مع دعوات التقشف التي نادت بها حكومات اوروبا ، ازداد زخم الدعوات الانفصالية فيها، منذ الأزمة المالية، بداية من ٢٠٠٨ وإلى الآن. واشتدت المطالبات بالاستقلال عن دولهم بالقارة العجوز. لجهة التكتلات القومية، الا ان تلك الدعوات والنشاطات الارهابية ليست وليدة اليوم وانما هي موجودة منذ عقود لاسباب عدة لاسيما الاقتصادية منها.

إقليم الباسك الإنفصالي، خاض صراع طويل مع الحكومة والشعب الاسباني لأجل الانفصال وتشكيل دولة الباسك التي تقع بين اسبانيا وفرنسا، بقيادة منظمة إيتا والتي صنفت بانها منظمة ارهابية مارست كل النشاطات المسلحة العنيفة من قتل وتفجير واختطاف لأجل تحقيق هدفها. وأدت انشطتها منذ تأسست وحتى القائها السلاح الى قتل المئات، وجرح الالاف، كما أضرت بالاستقرار السياسي في اسبانيا على مدار سنوات. وبعد التفجيرات الارهابية المدمرة التي ضربت عواصم ومدن اوروبية عديدة قررت منظمة إيتا إلقاء سلاحها وسلوك الوسائل الديمقراطية لبلوغ أهدافها، ومنذ العام ٢٠١١ وهي تأمل في ظل تزايد النزعات الانفصالية في اماكن عدة من قارة اوروبا ان تقترب من تحقيق اهدافها.

وكان لتغير المعطيات الداخلية والدولية وتضييق الخناق، الاثر الأكبرفي التحول الذي شهدته إيتا ورغبتها في القاء السلاح واعتماد الوسائل الديمقراطية في الوصول الى اهدافها وبعد المفاوضات مع الحكومتين الاسبانية والفرنسية تم الاتفاق على غلق

[٥٦] جورج قرم، تاريخ أوروبا وباء اسطورة الغرب، دار الفارابي للنشر الطبعة الاولى، بيروت ٢٠١١، ص٣٤٠.

الملفات والملاحقات القانونية لاعضائها واخراج الذين يقضون عقوبات من السجون ومحاولة دمجهم بالمجتمع، وفي ظل مساعيها لاعادة السلام بين مواطني الباسك واسبانيا وبين مواطني الباسك انفسهم تواجه المنظمة تحديا كبيرا في امكانية اعادة اللحمة الوطنية وبناء ماتم تخريبه على مدى نصف قرن من الزمن .

وعلى مستوى اوروبا، تمثل الحركات الانفصالية مصدر قلق لقادتها ، تجاه مشروع اوروبا الموحد بعد ان حقق نتائج باهرة على مستوى الاندماج الاقتصادي ويسعى الى مزيد من التكامل والوحدة ، فضلا عن التهديد الذي تمثله على كيانات دوَلِهِ في امكانية تشظيها او التاثير على سياداتها ضمن حدودها الجغرافية المعترف بها دوليا.

الاستنتاجات

يتضح مما تقدم بأن الحركة الانفصالية لإقليم الباسك (إيتا)، قد فشلت في تحقيق أهدافها بالإنفصال وتأسيس دولة الباسك عن طريق استخدام العنف. فضلا عن التبعات الكبيرة التي ترتبت عن تلك النشاطات، على الجوانب ألسياسية والأمنية والأجتماعية والإقتصادية لكل من اسبانيا وفرنسا. وكان قرارها بإلقاء السلاح والتفاوض مع السلطات الاسبانية والفرنسية،مؤشرا لبداية جديدة وتغير في استراتيجيتهاونهجها والحجج التي طالما اطلقتها للحصول على ماتصفه بأنه حقوق إقليم الباسك. تغير جاء نتيجة لعوامل ضاغطة من خارج الحركة وأخرى من داخلها نذكر منها:

١. أدت الاعانات المالية العامة دورا كبيرا في تمويل إيتا وديمومة عملها واستمراره لذلك فإن حظر نشاط (باتا سونا) أحدثت تغييرا كبيرا في ذلك التمويل، لاسيما مع الاجراءات الدولية التي اتخذت منذ العام ٢٠٠٢ بعد هجمات ١١ايلول، ضد الجهات التي لها علاقة بالنشاطات الارهابية، اذ جمدت أمريكا حسابات البنوك التي لها تعاملات مع أعضاء إيتا وجرى التنسيق بشكل افضل بين قوات الشرطة على مستوى العالم ألامر الذي اغلق الباب أمام حصولها على الدعم المالي.
٢. تراجع القاعدة الشعبية وتقلص الدعم بعد وصول الديمقراطية إلى أسبانيا، والتي من خلالها تحقق لإقليم الباسك تدريجيا الحصول على المزيد من الحكم الذاتي،

في المجالات السياسية والاقتصادية والمالية، وهو ماكان الانفصاليون يركزون عليه في دعواتهم لحشد الدعم الشعبي، على الرغم من استمرار المنظمة في الاعمال المسلحة وسعيها المتواصل لتطوير شبكاتها الاقتصادية والسياسية، إلا أن استراتيجيتها في استمرار الحصول على الدعم الشعبي فشلت بعد تغيرالنظرة لدى مؤيديها الذين دأبوا على مساندتها ووصفها بأنها منظمة ثورية تقف ضد الاستبداد، لاسيما بعد عملية اختطاف وقتل محافظ الباسك (ميغيل انخيل بلانكو)عام ١٩٩٧ وخروج تظاهرة حاشدة منددة بالارهاب. عندها اتضح للقائمين على إيتا انهم في موقف الدفاع وانهم فقدوا حتى دعم المجتمعات التي كانوا يصنفونها على انها مجتمعاتهم.

٣. ملاحقة أعضائها من قبل الحكومة الإسبانية وتصفية البعض منهم عن طريق ماكان يطلق عليه بـ "الحرب القذرة" ضدالإرهاب، باستخدام فرق ضرب سرية تحت مسمى (مجموعة غال ضد الارهاب)(**Gal GroposAntiterrorista de Liberation**)، ثم تصاعدت وتيرت تلك الاجراءات بعد احداث ١١ايلول/سبتمبر، اذ جرى التنسيق بين حكومة خوسيه ماريا اثنار المحافظة، بالاشتراك مع الحكومة الفرنسية، وأطلقت حملة إعتقالات شاملة ضد المجموعة وتم إعتقال العديد من أهم قياداتها على مدى السنوات التالية.

٤. ان الوحدة الاندماجية التي تمت من خلال الاتحاد الاوروبي والتي تهدف الى انهاء حالة الحروب والصراعات واعتماد الوسائل السلمية كخيار لحل المشكلات بين دوله، الى جانب الاثر المترتب عن فتح الحدود التي سهلت عملية التواصل بين شعوب اوروبا، والرغبة في نبذ مسائل العنف، اضعفت القاعدة الشعبية التي ترتكز عليها منظمة إيتا والتي تستمد الدعم منها بعد ان وجدت في الحلول السلمية السبيل الأفضل للحصول على حقوقها.

٥. ان فضاعة الجرائم التي تقوم بها منظمات ارهابية تحت مسميات عدة لاسيما بعد احداث ١١ ايلول/ سبتمبر، أظهرت الوجه القبيح للأعمال الإرهابية ودفعت

بمنظمة إيتا لاعادة حساباتها قبل أن تطالها العقوبات الدولية التي إتفقت عليها دول العالم لمكافحة الإرهاب.

٦. جدية الطرفان الحكومة ومنظمة ايتا في نهاية المطاف للتوصل الى حلول منصفه سهلت من حل المشكلة، اذ أن الحكومة الاسبانية اعترفت بوجود مشكلة مع إقليم الباسك تتطلب التفاوض حولها، لطالما كانت قد تجاهلتها وعدتها رغبة انفصالية من قبل مجموعة متطرفة. وكان لموافقتها على إنصاف الضحايا من الطرفين ومحاكمة المذنبين محاكمة عادلة غير مسيسة ومن خلال احترام حقوق الانسان بعدا مهما باتجاه اكتساب ثقة الطرف الاخر وترجيحه الحل السلمي والابتعاد عن العنف.

إن إحلال السلام بين إيتا الباسكية وأسبانيا وفرنسا لايعني بكل الاحوال نهاية الرغبة لدى الباسك في الانفصال والحال نفسه بالنسبة الى الحركات الانفصالية في أوروبا . اذ ستبقى تلك النزعة كامنة وساكنة، يمكن أن تخرج الى العلن كلما توفرت لها الشروط والاسباب التي قامت على أساسها.

ملخص البحث

الحركات الانفصالية هي كيانات تتبني طروحات بالانفصال عن الوطن الام وتاسيس وطن جديد ضمن الحدود الجغرافية لمكون ما على اساس المشتركات الثقافية أو الدينية، اقليم الباسك خاض صراع طويل مع الحكومة والشعب الاسباني لأجل الانفصال وتشكيل دولة الباسك التي تقع بين اسبانيا وفرنسا، بقيادة منظمة إيتا والتي صنفت بانها منظمة ارهابية مارست كل النشاطات المسلحة العنيفة من قتل وتفجير واختطاف لأجل تحقيق هدفها. وأدت انشطتها الى قتل المئات، وجرح الالاف، كما أضرت بالاستقرار السياسي في اسبانيا على مدار سنوات. إلا انها فضلت في النهاية القاء السلاح والبقاء ضمن حدود الحكم الذاتي الممنوح لها وفي اطار الهوية المشتركة لاسبانيا وفرنسا والعمل على ترميم الفجوة الاجتماعية بين شعب الباسك والشعبين الاسباني والفرنسي عامة وبين الضحايا ومرتكبي الاعمال المسلحة.

Separatist movements in Europe: The Basque Country is a model

Abstract

The separatist movements are entities that Adopts propositions for separation from homeland and establish a new homeland within the geographical boundaries of a component based on cultural or religious affiliations. The Basque country has long fought with the Spanish government and people for secession and the formation of the Basque state between Spain and France, leading by ETA which considered as a terrorist organization that did all the violent armed activities from killing, bombing and kidnapping in order to achieve its goal. Its activities had caused the killing of a hundreds, injured thousands of people, and damaged Spain's political stability for years. But in the end preferred to give up arms and remain within the limits of autonomy granted to them and within the common identity of Spain and France and work to restore the social gap between the Basque people and the Spanish and French peoples in general and between the victims and the perpetrators of armed acts.